# فرنسواز ساغان.. قيمة أدبية محدودة لعب الحظ دورًا في شهرتها

## اهتمت بها الحياة الأدبية العربية منذ أكثر من 60 عامًا

فرنسوا ساغان

لندن: د. ماهر شفيق فريد

نُشر: 23:40-13 ديسمبر 2015 م .01 ربيع الأول 1437 هـ

«ماذا بحق اللّٰه قد أوحى إليك بكتابة هذا؟» هكذا تساءل والدا فرنسواز كورييه (أصبحت تعرف فيما بعد باسم فرنسواز ساغان) حيث أطلعتهما ابنتهما - التي تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما - على مسودة رواية كتبتها في الصيف الماضي. كان ذلك في ربيع 1954. وخلال أسابيع نشرت الرواية كان عنوانها «صباح الخير أيها الحزن» وغدت من أكثر الأحداث الأدبية في فرنسا إثارة، خاصة بالنظر إلى صغر سن مؤلفتها. وتذكر كيت ويب في «ملحق التايمز الأدبي» 2 أكتوبر (تشرين الأول) عام 2015 أن المؤلفة الشابة غيرت اسمها ليصبح «ساغان» (أخذت الاسم من روايات مارسيل بروست) كما أن الرواية غيرت من حياتها. لقد أصبحت نجمة بين عشية وضحاها. وبعد أن حصلت على «جائزة النقاد» وصفها الروائي العجوز فرنسوا مورياك بأنها «هولة صغيرة ساحرة». ولكن ساغان وصفت نفسها بأنها مجرد فتاة عادية تريد أن تعيش حياة «النوادي الليلية والويسكي والسيارات من طراز فيراري، لا حياة الطهو والحياكة»

التي كان المجتمع يفرضها على النساء. لقد غدت أشهر أديبة وجودية في فرنسا بعد سيمون دي بوفوار.

وبمناسبة مرور ستين عاما على نشر رواية «صباح الخير أيها الحزن» طلب ابن ساغان من آن بيريه وهي روائية وصحافية فرنسية - أن تكتب شيئا للاحتفال بالمناسبة، وكانت النتيجة في هذا الكتاب الجديد الذي نعرضه هنا: كتاب «ساغان: باريس في 1954» (الترجمة الإنجليزية بقلم هيذر لويدو 173 صفحة، الناشر: جاليك، Anne Berest، Sagan: Paris 1954، English translation by Heather Lloyd، 173 pages، Gallic.

تصف آن بيريه كتابها بأنه «يوميات» الأشهر القصيرة القليلة التي استغرقها نشر رواية ساغان وذيوع صيتها. وتقحم بيريه في الكتاب بعضا من حياتها الشخصية: انفصالها عن زوجها، سعيها إلى التحرر الفكري، واكتشافها أعمال ساغان.

وينقل الكتاب، على نحو ما، أجواء الحياة في فرنسا عقب الحرب العالمية الثانية مع اهتمام (لا يستغرب من كاتبة أنثى) بالأزياء. وكانت أقرب صديقات ساغان إليها هي فلورنس ابنة الروائي آندريه مالرو الذي حارب في صفوف المقاومة الفرنسية ضد النازيين. وكانت الصديقتان نهمتين في القراءة تتبادلان الكتب. كذلك تصف بيريه الحياة الثقافية الفرنسية آنذاك بأنها كانت أبوية الطابع، يحكمها الرجال. فالخمسة عشر محكما الذين منحوا ساغان الجائزة عن روايتها كانوا جميعا - باستثناء واحدة - رجالا متقدمين في السن. وتقول بيريه إنهم ربما منحوها الجائزة لأن بطلة الرواية - وهي شابة في السابعة عشرة من العمر تدعى سيسيل - كانت تميل إلى الرجال الأكبر سنا. بل ربما أثارت في المحكمين رغبة خفية في إقامة علاقات معها!

ولكي تضع بيريه ساغان في سياقها الأدبي والاجتماعي تتذكر أدباء ومفكرين آخرين من معاصريها. كان جان كوكتو يرقب تطورها من بعيد. وربما مرت بعالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) كلود ليفي ستروس في الشارع. وذات مرة أبصرت ساغان الروائية مرجريت ديراس نائمة في عربة. والتقت بالشاعر والمخرج السينمائي الإيطالي بيير بولو بازوليني في مطعم (بعض هذه المقابلات من خيال بيريه لا في الواقع). وفي ختام كتابها تؤكد بيريه: «لقد كان من حظي الحسن أن أغدو موضع مودة خاصة من ساغان.. وكنا نتحدث معا كل يوم تقريبا».

لكن بيريه لا تقدم أي قراءة عميقة لرواية «صباح الخير أيها الحزن» وتركز بدلا من ذلك على التأثير الذي أحدثته ساغان فيها شخصيا. ولا يكشف كتابها، كما تلاحظ كيت ويب، عن عمق ملحوظ. لقد عجزت بيريه عن الخروج من نطاق ذاتها، ومن تجاوز نرجسيتها الخاصة، ومن ثم لم تتمكن من أن تسكن حقا داخل عقل ساغان.

وجدير بالذكر أن حياتنا الأدبية قد اهتمت بساغان منذ ستين عاما على الأقل. ففي يناير (كانون الثاني) 1955 نشر أنطون غزال (بمجمع اللغة العربية) مقالة عن رواية «صباح الخير أيها الحزن» في مجلة «الرسالة الجديدة» القاهرية أورد فيها قول الفيلسوف الفرنسي الوجودي المؤمن غابرييل مارسيل إن هذه الرواية «خطر على سمعة الفتاة الفرنسية!». وفي مطلع ستينات القرن الماضي ثارت ضجة حول ما

تردد من أن رواية إحسان عبد القدوس «لا أنام» متأثرة برواية ساغان (كلتا الروايتين تصف شعور شابة بالحنق لأن أباها ينوي أن يتزوج مرة أخرى فتتدخل لتحول دون إتمام هذا الزواج الذي من شأنه أن يفرض قيودا على أسلوبها المتحرر في الحياة). وكتب الدكتور محمد مندور على صفحات جريدة «الجمهورية» يبرئ إحسان من تهمة السرقة، بل يفضل روايته على رواية ساغان. ودخل المعركة فؤاد دوارة الذي عقد في يونيو (حزيران) 1960 مقارنة ضافية بين الروايتين (انظر كتاب دوارة «في الرواية المصرية») مبينا أوجه التشابه والاختلاف بينهما. وممن هاجموا ساغان غالي شكري في كتابه «أزمة الجنس في القصة العربية» بينما أشاد بها (إن كان لإشادته من قيمة) جلال العشري في كتابه «صرخات في وجه العصر». والأمر المؤكد فيما يبدو لي هو أن الحظ قد لعب دورا كبيرا في ذيوع شهرة ساغان وأن قيمتها الأدبية محدودة. إن من الأدباء - والأديبات بخاصة - من يلمع اسمه لأنه جاء مصادفة في لحظة تاريخية بعينها تعين على رفع القواعد من شهرته. وساغان نموذج لهذا النوع من الأدباء، فقد ظهرت روايتها في منتصف خمسينات القرن الماضي ولما ينقض على انتهاء الحرب العالمية الثانية عقد من الزمان. كانت فترة انقشاع للأوهام وانهيار للمعتقدات القديمة وازدهار للفلسفة الوجودية التي روج لها سارتر وسيمون دي بوفوار وكامو وأتباعهم. وقد جاءت كتابات ساغان ثمرة لهذه الظروف وتعبيرا عنها في آن.